القرية: مفهومها ودلالاتها في القرآن الكريم

دراسة تفسيرية

إعداد:

د. جومان محمود محمد الشبول

دكتوراه الشريعة والدراسات الإسلامية

كلية أصول الدين (الحديث وعلومه)

د. شريهان سميح عطية آل خطاب

جامعة الحسين بن طلال – كلية الآداب

قسم الدراسات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص:

تناول البحث مفهوم القرية في القرآن الكريم، والمدلولات المتعددة لمفهوم القرية والمدينة، والتمييز بين أنواع القرى العادلة والقرى الظالمة، كما جاءت في القرآن الكريم، وكتب التفاسير، وتتبع أنواع القرى، مستندًا في ذلك على القرآن الكريم أولًا، وكتب التفسير، وكتب المعاجم اللغوية، والجغرافيا.

وقد ورد في القرآن الكريم أسماء بلدان وأقاليم وأماكن كثيرة، فيما يخص البلاد والمجتمعات المستقرة، فذكر "البلد"، و"البلاد"، "والمدينة"، ولكن كانت مفردة "القرية" ونحوها من أكثر التعابير ترددًا في القرآن الكريم، فقد ذكرت كلمة "القرية" ونحوها، مثل "القرى"، أو "القريتين" بصيغه المفرد، وبصيغة الجمع (٥٦) مرة في القرآن الكريم، كما ورد تعبير "أم القرى" في القرآن الكريم للدلالة على مكان ذي

نظام إداري متميز في آيتين، وقصد بها مكة. كما تتبع البحث الفروق الجوهرية بين مفهوم القرية في العهدين المكيّ والمدنيّ.

الكلمات الدالة: (القرى والمدن في القرآن، العهد المكيّ، العهد المدنيّ)

Abstract:

The research dealt with the concept of the village in the Holy Qur'an, and the multiple meanings of the concept of the village and the city, and the distinction between the types of just villages and unjust villages, as they came in the Holy Qur'an, the books of interpretations, and tracking the types of villages, based on the Holy Qur'an first, the books of interpretation, and the books of linguistic dictionaries, and geographical.

The Holy Qur'an mentions the names of many countries, regions, and places, with regard to countries and stable societies. It mentions "the country," "the country," and "civilian," but the term "village" and the like are among the most frequent expressions in the Holy Qur'an. The word "the village" and its likes, such as "the villages" or "the two villages" were mentioned in the singular and plural (56) times in the Holy Qur'an, just as the expression "Umm al-Qura" was mentioned in the Holy Qur'an to denote a place with a distinct administrative system, in two verses, and it was intended Mecca The research also traced the essential differences between the concept of the village in the royal and civil eras.

Key words: (villages and cities in the Qur'an, the royal era, the civil era)

المقدمة:

قال –تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾(سورة التوبة: ٧٠).

أنزل الله –تعالى– القرآن الكريم كتاب هداية، يوضح معالم الدين الإسلامي بعقائده، ومبادئه، ومتطلباته، ويدعو إلى اعتناقها، والسير عليها؛ لضمان السعادة في الدنيا والآخرة؛ لذلك جاءت أكثر مفرداته تتعلق بهذه العقائد والفرائض الدينية،

بما في ذلك ما يتصل بذات الله –تعالى، والملائكة، والإنس والجن، والفرائض الإسلامية، وأركانها الأساسية بما في ذلك الصلاة، والصوم، والصدقات، والزكاة، وأشار إلى ما يتصل بالدعوة إلى عدد من الظواهر والأحوال الفلكية الطبيعة والجغرافية، وتردد كثيرًا ذكر المفردات المتصلة بالإنسان وأحواله، ومفردات هذه المواضيع مهمة، وجديرة بالدراسة، إلا أننا لن ندرسها في هذا البحث؛ لأنها خارج نطاقه.

ويقتصر نطاق البحث على مفردة معبرة عن حياة المجتمع السياسية والاجتماعية، ألا وهي "القرية" ودلالاتها في القرآن الكريم، إذ نصّت آيات عديدة على أن بعضها كان قائمًا إبّان ظهور الدعوة الإسلامية، غير أن كثيرًا منها تتصل بأزمنة غابرة وعهود ماضية[١]، ومن المؤكد أن قصص الغابرين تشغل حيزًا في القرآن الكريم، وهي من المواضع التي ينغي أن نتفكر فيها، وهؤلاء في معظمهم أقوام كذبوا الرسل، فاستحقوا العقاب الإلهي[٢].

ذكرت كلمة "القرية" ونحوها مثل "القرى" أو "القريتين" بصيغه المفرد، وبصيغة الجمع (٥٦) مرة في القرآن الكريم[٣]، كما ورد تعبير "أم القرى" في القرآن الكريم للدلالة على مكان ذي نظام إداري متميز، في آيتين فقط، وكان يُقصد بها مكة: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(سورة الشورى:٧، وانظر: سورة الأنعام: ٩٢).

وردت في القرآن الكريم لفظة "المدينة" بصيغه المفرد والجمع (١٧) مرة، على نحو قوله –تعالى: ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ (سورة الشعراء:٣٦). كما

---

١) ينظر: صالح أحمد العلي، أهل مكة وتطور المجتمعات ودلالات مفردات القرآن عليها، بحث منشور في مجلة اللغة العربية الأردني، ع ٥٤، ٢٠٠٨، ص ٤ (بتصرف).

٢) هارون يحيى (اسم مستعار)، الأمم البائدة، ترجمة: ميسون نهلوي، مراجعة: أورخان محمد علي، تركيا، مؤسسة الرسالة، د.ت، ص ١٠.

٣) انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، المكتبة الإسلامية، إسطنبول (تركيا)، ١٩٨٢م، ص ٥٤٣ – ٥٤٤.

وردت "المدينة" وقصد بها مقر الرسول –صلى عليه وسلم– بعد الهجرة: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ (سورة الأحزاب:٦٠)، وقولة –تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ﴾ (سورة التوبة:١٢٠).

١. مبررات البحث:

الحاجة إلى فهم أعمق لمدلولات السّور والآيات القرآنية الكريمة، وبيان وجه الإعجاز القرآني في صياغة تعابيره ومفرداته، وفي المضامين التي تضمنتها الآيات القرآنية الكريمة، وهل هناك فرق في المدلول بين الآيات والسور المكية، عنه في السور والآيات التي نزلت خلال العهد المدنيّ.

٢. أهداف البحث:

١. استجلاء مفهوم (القرية) والفرق بينها وبين (المدينة) في القرآن الكريم، وكتب التفاسير.
٢. إدراك طبيعة المفهوم القرآني في التمييز بين القرى العادلة والقرى الظالمة.
٣. إدراك أنواع القرى العادلة، والقرى الآمنة، والقرى الموصوفة، ومعرفة حدود التمييز بين كل نوع منها، بحدودها كما جاء في القرآن الكريم.

٣. مشكلة البحث:

القرآن الكريم في المقام الأول هو كتاب هداية يوضح معالم الدين؛ لذلك فإن جلّ آياته تتعلق بالعقيدة الإسلامية، غير أن القرآن الكريم تطرّق في سياق الدعوة للحديث عن الكثير من الأمور السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية التي تمس الحياة اليومية للناس، سواء المجتمعات المعاصرة لظهور الدعوة ونزول الوحي، أو المجتمعات السابقة لظهور الإسلام، بهدف العظة والعبرة.

والسؤال الأساسي الذي ينطلق منه البحث هو: إلى أي مدى تطرق القرآن الكريم إلى مفهوم المدينة والقرية بوصفهما مفاهيم حضارية لم يغفلها القرآن الكريم؟ ويتفرع من هذا السؤال عدة أسئلة فرعية، هي:

١. هل نجد اختلافا واضحًا في مفهوم القرية والمدينة في القرآن الكريم؟
٢. ما أنواع القرى التي ذكرت في القرآن الكريم؟
٣. هل ميز القرآن الكريم بين أنواع هذه القرى استنادا إلى موقفها من الدعوة الإسلامية؟
٤. هل نجد في القرآن الكريم تحديدًا دقيقًا لمواصفات القرى الظالمة؟
٥. هل يختلف مدلول القرية، عن مدلول المدينة في السور والآيات المكيّة عنه في السور والآيات المدنيّة؟

المبحث الأول

القرية لغة واصطلاحا

المطلب الأول: القرية في اللغة:

أولًا: لفظ "القرية" مشتق من القاف، والراء، والحرف المعتل، وهو أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، وسمّيت "القرية" بهذا الاسم لاجتماع الناس بها[١]، وفيه قريت الماء في الحوض، أي: جمعته، والنسبة إلى القرية: قروي بفتح القاف، وتجمع على (قرى) بضم القاف، وهي لغة أهل الحجاز، قال –تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ (سورة الكهف:٥٩) ، ولغة أهل اليمن: قِرية، بكسر القاف، ويجمعونها على "قِرى" بكسر القاف[٢]. كما ورد معنى "القرية" في بعض المعاجم بأنها هي "المصدر الجامع"، وتعرف بأنها كل مكان اتصلت به الأبنية، واتخذ قرارًا، وتقع على المدن وغيرها، وكذلك بأنها المكان من الأرض الذي لا يكاد أن يقطعه شيء[٣].

ثانيًا: يطلق أحيانًا اسم "القرية" في اللغة، ويراد به "المدنية"، كما يطلق اسم "المدينة"، ويراد به "القرية"، بدليل قوله –تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾

---

١) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، بيروت، دار المعرفة: تحقيق وضبط محمد رشيد كيلاني، د.ت، ص ٤٠٢.

٢) ينظر: أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، بيروت، طبعة دار صادر، (د.ت)، المجلد ١٠، ص، الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٦، ص ٢٢٣؛ ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤، ص ٧٣٢.

٣) ابن منظور، لسان العرب، ١٤٥/١١–١٤٧، الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٢٣، فيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧)، القاموس المحيط. دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥، ٤٢٩/٤؛ المعجم الوسيط، ٧٣٢.

(سورة الكهف:٧٧)، فسماها: قرية، ثم قال: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ (سورة الكهف:٨٢)، فسماها مدينة بعد أن سماها قرية.

قال الطبري في تفسير قول الله –تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾، "وكانت العرب قديما تسمي كل مدينة قرية، وهي عند أهل التأويل "مكة""[١].

ثالثًا: التمايز بين القرية والمدينة بدا واضحًا في العصور المتأخرة، فتحددت بعض سمات القرية، ومن الفروق: أن عدد من يسكن (القرية) أقل من عدد من يسكن (المدينة)، ومن هنا قيل: إن قلوا قيل لها قرية، وإن كثروا قيل لها: مدينة، وقيل: أقل العدد الذي تسمى به قرية ثلاثة، فما فوقها، فالمدنية أوسع من القرية، وأكبر.

كما أن لفظ (القرية) يطلق على السكان تارة، وعلى السكن تارة أخرى، قال الراغب الأصفهاني: القرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس، وللناس جميعًا، ويستعمل في كل واحد منهما، قال –تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾(سورة يوسف:٨٢)، وقال بعضهم: بل القرية هنا القوم أنفسهم، وعلى هذا قوله:﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ ، وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ (سورة محمد:١٣)، فإنها اسم للمدنية [٢].

وقال "الزمخشري" في تفسير قوله –تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ (سورة محمد:١٣): إنّ المقصود بالقرية أهلها، ولذلك قال: "أهلكناهم"، وكأنه قال: وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم[٣].

---

١) سعيد بن عبد الله بن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، ط١، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢٥٥.

٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٤٠٢ – ٤٠٣.

٣) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)،" الكشاف" عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، القاهرة، المكتبة الوقفية، ٢٠١٢م ٣١٧/١.

المطلب الثاني: دلالات تسمية القرى والمدن في التعبير القرآني:

يسود اعتقاد لدى الكثير بأن القرآن الكريم يبدل بين التسميتين: (مدينة، وقرية) لنفس الموضع، وأنهما تسميتان مترادفتان، وسأقتصر التوضيح في موضعين لما يحيط بهما من فهم خاطئ في أحيان كثيرة يقود لتفسيرات مغلوطة وغير متفقة مع القاعدة التي تنفي " الترادف" في القرآن الكريم، وسأبحث تحديدًا في تسميه "قرية إخوة يوسف" التي استشهدوا بها عند قدومهم على أبيهم، وفي تسميه: مدينة الغلامين اليتيمين "في سورة الكهف"، وبالتالي سنخرج بتعريف للمدينة والقرية في التعبير القرآني.

أوجه الالتباس:

الموضع الأول: قرية إخوة يوسف:

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾(سورة يوسف:٨٢).

قال القرطبي في تفسير قوله –تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ﴾، فيه مسألتان: الأولى: قوله –تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾، والعير حققوا بها شهادتهم عنده، ورفعوا التهمة عن أنفسهم؛ لئلا يتهمهم، فقولهم:﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ ، أي: أهلها، فحذف، ويريدون بالقرية مصر. وقيل: قرية من قراها نزلوا بها وامتاروا منها. وقيل: المعنى: واسأل القرية، وإن كانت جمادًا، فأنت نبي الله، وهو ينطق الجماد لك، وعلى هذا فلا حاجه إلى إضمار، قال سيبويه: ولا يجوز (كلّم هندًا)؛ وأنت تريد غلام هند؛ لأن هذا يُشكل. والقول في العير كالقول في القرية سواء. وإنا لصادقون في قولنا[١].

١) محمد بن شهاب الدين القرطبي (ت ٧٩١ هـ)، تفسير أحكام القرآن الكريم، تحقيق: محمد أبو زهرة، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٣، / ٧.

وجاء في تفسير ابن كثير: واسأل القرية التي كنا فيها، قيل: المراد مصر، قاله قتادة، وقيل غيرها[1]. وقال ابن جرير: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾، هي مصر، يقول: سل من فيها من أهلها[2].

وذكر "ابن عاشور" في التحرير والتنوير "أن المراد بالقرية المدينة والعكس، وأنهما تسميتان مترادفتان: وسؤال القرية مجاز عن سؤال أهلها، والمراد بها مصر، وقد خصت المدينة في العرف بالقرية الكبيرة، والمراد بالعير التي كانوا فيها رفاقهم في عيرهم القادمون إلى مصر من أرض كنعان، فأما سؤال العير فسهل، وأما سؤال القرية، فيكون بالإرسال، أو المراسلة، أو الذهاب بنفسه إن أراد الاستثبات[3].

الموضع الثاني: قرية اليتيمين:

ورد ذكر المدينة والقرية في الآيتين الآتيتين:

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾(سورة الكهف:٧٧).

وقوله –تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ (سورة الكهف:٨٢).

قال ابن كثير في تفسيرها: في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة؛ لأنه قال أولًا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾، وقال هنا: فكان لغلامين يتيمين في

---

١) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق وضبط: حسن الجبالي، الرياض، بيت الأفكار الدولية،١٤٢٠هـ/١٩٩٩، ص٨٩٧.

٢) محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٧ / ٢٧٣.

٣) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير "التحرير والتنوير"، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ١٠٦/١٢.

المدينة، كما قال –تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ (سورة محمد:١٣)، ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ (سورة الزخرف:٣١)، يعني: مكة، والطائف، ومعنى الآية: أن هذا الجدار إنما أصلحه؛ لأنه كان لغلامين يتيمين، وكان تحته كنز لهما [١].

وجاء في تفسير القرطبي: ودل قوله: في "المدينة" على أن القرية تسمى مدنية، ومنه الحديث (أمرت بقرية تأكل القرى)، وفي حديث الهجرة: (لمن أنت) فقال الرجل: من أهل المدينة. يعني: مكة[٢]. وفي اللغة: إذا اتّسعت القرية تُسمى مدينة، كما أن القرية قد تكون صغيرة وكبيرة.

ما يظهر في سياق الآية ينفى الترادف؛ إذ إنّ المدينة التي يسكنها الغُلامان غير القرية التي بها الجدار، وهذا متسق لا إشكال فيه، بل إن شواهد الآية تدل على أن الجدار يريد أن ينقض، وأنه متهاوٍ، ويوشك على السقوط، وبالتالي فالغلامان كانا غائبين عن الموضع، حيث لم يرَهما موسى –عليه السلام، ولم يعلم بأمرهما إلاّ من الرجل الصالح (الخِضر)؛ لكونهما كانا في المدنية، وليس في القرية التي لهما فيها عقار، وهو الجدار، وهما يسكنان في المدنية، وهي موضع آخر غير القرية، وهذا بلا شك يسوغ لأهل القرية الاستيلاء على الكنز في ظل غياب صاحبَيه.

ومن هنا يمكن القول: لا يوجد ما يدعو لالتباس الفهم والتعارض بين النص ومفهومه، ولا يوجد إشكال في هذا الفهم البسيط، ولكن القول بالترادف يشكل عليه أمور كثيرة، لعل من أهمها الترادف نفسه، وعدم وجود ما يدعو لتسمية القرية في موضع وتغييرها لمدينة في آخر.

---

١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج / ص.

٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج / ص.

كما أن الترادف يعني الاتحاد في المفهوم، أو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد[١].

المطلب الثالث: العهدين المكيّ والمدنيّ ودلالات آيات القرى عليها:

كانت الدعوة الإسلامية في العهد المكي –أي: في السنوات العشر الأولى من بدايتها – موجهة بالدرجة الأولى إلى أهل مكة، حيث نشأ فيها الرسول –صلى الله عليه وسلم، وأقام طيلة تلك السنوات، ولم يخرج منها خلال سني الدعوة إلا مدة قصيرة توجه إلى الطائف، ولم يلق استجابة من أهلها، كما أنه خلال هذا العهد لم يتصل إلا بعدد قليل من أفراد عشائر عربية متعددة عند قدومهم القصير إلى أسواق مكة، أو الحج إليها، ولم يثمر الاتصال؛ لذلك كان الاهتمام الأكبر للرسول –صلى الله عليه وسلم، موجهًا إلى أهل مكة ودعوتهم للاستجابة للدين الجديد، وكان هذا يقتضي معرفة سليمة بأحوال أهلها للإفادة منها بما يؤمّن نشر الدعوة فيهم، وفي آيات القرآن الكريم صدى لذلك، حيث إن أكثر الآيات التي نزلت في هذا العهد توضح مبادئ الإسلام، وعقائده، وأفكاره، وتشير إلى كثير من أحوال أهل مكة، وبخاصة ما يتصل منها بالدعوة إلى الإسلام ونشره فيهم، ولعل مما يدخل في ذلك ذكر كثير من الآيات أحوال الأمم السابقة، ومصائرهم التي تحكمت في كثير منها مواقفهم من دعوات الأنبياء[٢].

وفي العهد المدني كرّس الرسول اهتمامًا واسعًا لتثبيت سلطته العليا على الدولة الجديدة، وتطلب ذلك معالجة موقف اليهود الفكري والسياسي، وكذلك أمر الفئات القلقة من المنافقين، ومقارعة مشركي قريش، ثم توسيع الدولة لتضم مكة، وشبه جزيرة العرب؛ ولذلك أعطى معالجة العلاقات السياسية "الخارجية" مكانة خاصة لم تكن لها في العهد، ثم إن معالجة المعارضة وضمها إلى حظيرة الإسلام لم تكن من الدرجة التي كانت عليها في مكة [٣].

---

١) ينظر: علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧، ص ٨٣.

٢) العلي، أهل مكة تطور المجتمعات، ص٤– ٥.

٣) العلي، المرجع السابق، ص٥.

المبحث الثاني

أنواع القرى في القرآن الكريم

أرجع القرآن الكريم دمار المجتمعات والأمم إلى تصرف المهيمنين على الحكم، وفي القرآن الكريم تعابير متعددة عن التعسف في استعمال السلطة، وأبرزها الظلم، والطغيان والتجبر، والاستكبار. أما الظلم فمن أبرز عوامل هلاك القرى، وذكر أن كثيرًا من القرى أهلها ظالمون، والهلاك يحدث في القرى الظالمة، والظلم لا يقتصر على القرى وأهلها، وإنما يمتد إلى الأقوام(١).

وتردد في القرآن الكريم ما يشير إلى أن الترف من أهم عوامل تدمير القرى وإهلاكها، فقال –تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ (سورة الإسراء:١٦)، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (سورة سبأ: ٣٤). ومن عوامل تدمير القرى والمجتمعات أعمال المجرمين، وقد وصفهم القرآن بأنهم من المستكبرين: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ (سورة الأنعام:١٢٣)، ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (سورة الأعراف:١٣٣)(٢).

إن الهلاك يشمل القرى، ويشمل كذلك الأقوام، فتدمر تدميرًا، لا تحس منهم أحدًا، وتصبح بيوتهم خاوية على عروشها، وتهلك القرون أيضًا، لكن يقتصر التدمير على السكان من البشر، أما المساكن فتبقى ﴿مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة القصص: ٥٨)(٣).

---

١) ذكر في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحدثت عن إهلاك الأقوام والقرى الظالمة، انظر: سورة الحج، الآية: ٤٥؛ الأنبياء، الآية: ١١؛ العنكبوت، الآية: ٣١؛ آل عمران، الآية: ٨٦.

٢) وانظر: سورتي يونس:٧٥، والجاثية:٣١.

٣) وينظر: سورة الأنبياء: الآية: ١٣، سورة القصص، الآية:٥٨، سورة يوسف، الآية: ١٠٩، سورة يونس، الآية: ٩٨.

المطلب الأول: قرى ذات خصوصية:

ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي نزلت في العهدين المكي والمدني، تحدثت عن قرى ذات خصوصية، وهناك أمثلة لأربع قرى ذات خصوصية عالية، سأتحدث عنها في هذا المطلب، وردت أحداثها في القرآن الكريم، وكلها "قرى" لها خصوصية في الحدث، بمعنى أنّ أحداثًا وقعت بها، لم تحدث في قرى مثلها من قبل، هي:

أولاً : قرية النبيّ يونس –عليه السلام:

قال الله –تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ (سورة يونس:٩٨).

قال ابن كثير في (البداية والنهاية): لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيّهم ممن سلف من القرى إلا قوم يونس، وهم أهل نينوى، وما كان إيمانهم إلا خوفًا من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعدما عاينوا أسبابه[١].

وقال ابن جرير في تفسير الآية: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾، لم تكن قرية آمنت، فنفعها الإيمان إذا نزل بها بأس الله إلا قرية يونس، قال مجاهد: فلم تكن قرية آمنت، فنفعها إيمانها كما نفع قوم يونس، وذلك أنهم لما فقدوا نبيهم، وظنوا أن العذاب قد دنا منهم؛ قذف الله في قلوبهم التوبة، ولبسوا المسوح، وفرقّوا بين كلّ بهيمة وولدها، ثم عجوّا إلى الله أربعين ليلة، فلما عرف الله الصّدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم[٢].

---

١) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، اعتنى به: حنان عبد المنان، بيروت، بيت الأفكار الدولية،٢٠٠٤م،٢ج، ١٤١/٢.

٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧ / ٧٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤١/٢.

واختلف المفسرون: هل كشف عنهم الله –عز وجل– العذاب الأخروي مع الدنيوي، أو إنما كشف عنهم في الدنيا فقط: أحدهما: إنما كان ذلك في الحياة الدنيا، كما هو مقيد في هذه الآية، والثاني: فيهما؛ لقوله –تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾، فأطلق عليهم الإيمان، والإيمان منقذ من العذاب الأخروي، وهذا هو الظاهر، والله أعلم[١].

ثانيًا: قرية العزير –عليه السلام:

قال الله –تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ (سورة البقرة:٢٥٩).

اختلف المفسرون[٢] في تعيين هذه القرية، قال بعضهم: هي بيت المقدس، وقال آخرون: هي (دير هرقل) على شاطئ دجلة بالعراق، وقيل: هي (المؤتفكة)، ومنهم من قال: إنها القرية التي خرج أهلها وهم ألوف حذر الموت، وقال آخرون: هي قرية (العنب) على بعد ستة أميال من بين المقدس، والمشهور أنّها بيت المقدس، وهي التي مرّ عليها العزير –عليه السلام، وكان العزير –عليه السلام– نبيًا من أنبياء بني إسرائيل، مرّ على هذه القرية بعد أن خربت، وقتل أهلها، وأصبحت خاوية على عروشها، فلم يكن فيها أحياء، وكانت سقوفها ساقطة.

وقف العزير –عليه السلام– وكان معه حماره متأملًا ومتعجبًا من أمر هذه القرية، فكيف أصبحت هكذا بعد أن كانت عامرة، وتساءل في نفسه: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، قالها متعجبًا ومندهشًا! ولم يقلها شكًا في قدرة الله على

---

١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤١/٢؛ سعيد بن عبد الله بن جنيدل، معجم الأمكنة ذكرها في القرآن الكريم، الرياض، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٢٦٢. أبو الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي، قصص الأنبياء، بيروت، المكتبة العصرية، ط ٤، ٢٠٠٠، ص ٢٣٧.

٢) ابن جندل، معجم الأمكنة الواردة في القرآن الكريم، ص ٢٥٢ وما بعدها.

إحياء الشيء بعد موته، فهو يعلم الله وقدرته، فأماته الله مائة عام، ثم بعثه، ثم سأله: ﴿كم لبثت﴾[1].

قرية العزيز نموذج آخر للقرى ذات الخصوصية العالية، ففي هذه القرية حدث خاص بها وحدها، ولم يحدث مثله في أي قرية قبلها، أو بعدها، فالحدث في ذاته معجزة من معجزات الله، انفردت به هذه القرية في القرآن الكريم، وإن تشابهت أحداثه مع أحداث أصحاب الكهف، في كيفية إحياء الله للموتى، إلا أنها اختلفت في الفترة الزمنية التي مكث فيها أصحابها في الكهف، قبل أن يبعثهم الله من الموت أو الرقود.

ففي السؤال عن الفترة الزمنية التي مكثها العزيز –عليه السلام– مع حماره، وبين أصحاب الكهف الذين ضرب الله على آذانهم في الكهف سنين عددًا يتبين وجه التشابه في الحدث، وبرغم تشابه هذا الحدث، وهو الموت، أو النوم ثم البعث فإن هناك اختلافًا بينهما في الزمن الذي مكثه كل منهم (١٠٠ – ٣٠٩)، والمكان، هل هو (قرية أو كهف)؟

ثالثًا: بيت المقدس:

قال الله –تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾ (سورة المائدة:٢١)، وقال –تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا﴾ (سورة البقرة: ٥٨).

"القرية" المقصودة في الآيتين عند جمهور المفسرين هي (بيت المقدس)، وتسمى حاليًا (القُدس) بضم القاف، وسكون الدال، يقول –تعالى– موجّهًا اللوم لهم على نكوثهم عن الجهاد ودخولهم الأرض المقدسة، لما قدموا من مصر بصحبة موسى –عليه السلام، فأُمروا بدخول الأرض المقدسة، وقتال من فيها من العماليق

---

١) لمزيد من التفاصيل انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٤٤٠ – ٤٤٨، ابن جندل، معجم الأمكنة الواردة في القرآن الكريم، ص ٢٥٢ وما بعدها.

الكفرة، فتثاقلوا عن قتالهم، وضعفوا، واستحسروا، فرماهم الله في التيه؛ عقوبة لهم، كما ذكره الله –تعالى– في سورة المائدة، الآية رقم ٢١.

وقال آخرون: هي (أريحا). قال القرطبي: قوله –تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾. أي: المدينة، سميت ذلك لأنها تقرّت، أي: اجتمعت، ومنه قريت الماء في الحوض، أي: جمعته، واختلف في تعينها، فقال الجمهور: هي بيت المقدس. وقيل: أريحا من بيت المقدس.

والباب الذي أمروا بدخوله هو باب في بيت المقدس يعرف (باب حِطة) عن مجاهد وغيره. وقيل: باب القبّة التي كان يصلي إليها موسى وبنو إسرائيل[١].

وقال ابن كثير: كان أصح القولين إن هذه البلدة هي بيت المقدس، كما نصّ على ذلك السّدي، والربيع بن أنس، وقتادة، وأبو مسلم الأصفهاني، وغير واحد[٢]. وقال الشوكاني: قال جمهور المفسرّين: القرية هي بيت المقدس، وقيل: إنها أريحا قرية من قرى بيت المقدس، وقيل: من قرى الشام، والباب الذي أمروا بدخوله هو باب في بيت المقدس، يعرف اليوم بـ(باب حِطة)، وقيل هو باب القبة التي كان يصلي إليها موسى وبنو إسرائيل[٣].

وأورد أبو حيان[٤] في تفسيره (البحر المحيط) قولين في شأن القرية التي أمروا بدخولها، فقال عنها: "إنها الرملة"، وقيل هي (أيله)، ولكنه رجحها في النهاية بقوله: إنها بيت المقدس في قول الجمهور".

وقال القزويني: هي أريحا مدينة بقرب بيت المقدس من أعمال الأردن بالغور، ذات نخل وموز وسكر كثير، وهي قرية الجبارين التي أمر الله موسى –

---

١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن.

٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم.

٣) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، ج / ص.

٤) أبو حيان، البحر المحيط، ووافقه القزويني.

عليه السلام- بدخولها، فقال موسى -عليه السلام- لبني إسرائيل"[1]: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾ (سورة المائدة: ٢١).

وذكرت "بيت المقدس" في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ففي قوله -تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾ (سورة البقرة:٥٨)، حيث تشير تلك الآية إلى بيت المقدس، حين أمر الله بني إسرائيل أن يدخلوها، لكنهم لم يستجيبوا لأمره -سبحانه وتعالى، وبدلوا الفعل والقول، قال الطبري في تفسير قوله -تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾، قال: هي بيت المقدس، أمرهم الله أن يدخلوها سجدًا، وأن يأكلوا منها أكلًا هنيئًا واسعًا بغير حساب، وأن يقولوا "حِطة"، وهي كلمة تعني حُط عنا ذنوبنا يا ربنا، وهي كلمة استغفار عندهم ككلمة "أستغفر الله العظيم"، عند المسلمين، ووعدهم الله أن يغفر لهم خطاياهم، ويحط عنهم أوزارهم، إذا قاموا بتنفيذ ما أمر الله به، وأنه -سبحانه وتعالى- سيزيد المحسنين منهم إحسانًا [2].

رابعًا: قرية البخلاء:

قال الله -تعالى- في خبر موسى والخضر -عليهما السلام: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧﴾ (سورة الكهف: ٧٧).

---

١) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٤٢، ووافقه ياقوت الحموي، انظر: شهاب الدين أبو عبد الله (ياقوت الحموي)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ٥ج،١٩٧٧، ١/١٦٥.

٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن.

فيما قاله المفسرون والمؤرخون اختلاف واسع في تحديد القرية التي استضافت موسى والخضر –عليهما السلام، وأهلها أبَوا أن يضيفوهما: أهي الأيلة، أو هي الأبلة، أو أنها باجروان، أو أنها بلدة في أفريقيا؟ أو أنها غير ذلك.

قال القرطبي: واختلف العلماء في القرية، فقيل: هي أيلّة، قال قتادة، وكذلك قال محمد بن سيرين، وهي أبخل قرية، وأبعدها من السماء. وقيل: أنطاكية. وقيل: بجزيرة الأندلس، روى ذلك عن أبي هريرة وغيره، ويذكر أنها الجزيرة الخضراء[١].

وقال ابن كثير في قوله –تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ روى بن جرير عن ابن سيرين أنها الأيكة[٢].

وذكر القزويني أنها "شروان"، وهي ناحية مستقلة قرب باب الأبواب، يقال لملكها: أخستا[٣]. ومنهم من قال: هي (برقة)، وقيل: هي (الناصرة)، وإليها ينسب النصارى، والأرجح أنها (أيلة)، والمعروف أن أيلة هي مدينة على ساحل رأس خليج العقبة.

المطلب الثاني: قرى عادلة:

أولًا: أمُ القرى (مكة المكرمة):

قال الله –تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ (سورة الأنعام:٩٢).

أُمّ القرى: بهمزة مضمومة بعدها ميم مشددة، والقرى جمع قرية، يقصد بها: مكة، البلد الحرام[٤]. قال القرطبي: ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾: يريد مكة،

---

١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن.

٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم.

٣) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٩٣.

٤) ابن جندل، معجم الأمكنة، الواردة في القرآن الكريم، ص ٤٢.

والمراد أهلها، فحذف المضاف، أي: أنزلناه للبركة والإنذار، ﴿ومن حولها﴾: يعني: جميع الآفاق[1].

وقال ابن كثير: ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ يعني: مكة، ﴿ومن حولها﴾: من سائر طوائف بني آدم من عرب، وعجم[2]، وقال الله –تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ (سورة النساء:٧٥).

تردد في القرآن الكريم ذكر مكة وأهلها أكثر من أي مركز حضري آخر، ولها فيه أسماء وأوصاف متعددة، منها "مكة"، و"بكة"[3]. فقال الله –تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ﴾ (سورة الفتح:٢٤)، وقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦﴾ (سورة آل عمران: ٩٦).

كما وصفت بأنها "قرية"، و"بلد": ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ (سورة محمد: ٣٠)، ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ٣١﴾[4]، وقوله –تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ (سورة البقرة:١٢٦). ويتصل بمكة البيت الحرام، والمسجد الحرام، والكعبة وهي في مكة، ولها قدسية خاصة وعلاقة وثيقة بالحج: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾ (سورة البقرة:١٢٥).

---

١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن.

٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم.

٣) العلي، أهل مكة وتطور المجتمعات، ص ٦–٧.

٤) لم يختلف المفسرون في المقصود بالقريتين في الآية: ٣١ من سورة الزخرف، لكنهم اختلفوا في الرجل العظيم الذي أراده المشركون في قولهم، وقيل المقصود هما: الوليد بن المغيرة القرشي من المدينة، وابن مسعود الثقفي من الطائف، ابن جندل، معجم الأمكنة الواردة في القرآن، ص ٢٩٩ وما بعدها.

كما أطلقت على "أم القرى" أسماء عديدة غير التي ذكرت منها: البلد الأمين، والمقدسة، وقد سمّاها الله –تعالى– "أم القرى" وسمّاها البلد الأمين، في قوله –تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ (سورة التين: ١–٣).

ثانيًا: القرى الآمنة المطمئنة:

قال الله –تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ (سورة النحل:١١٢).

اختلف المفسرون بشأن هذه القرية التي يأتيها رزقها من كل مكان، فقيل: هي مكة المكرمة، وقيل: إنها المدينة، وبعضهم قال: إنها مثل مضروب بأية قرية كانت بهذه الصفة.

قال ابن كثير في تفسيره: "هذا مثل أريد به أهل مكة، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة، يتخطف الناس من حولها، ومن دخلها كان آمنًا لا يخاف، والرزق الرغد هو السهل الهني"(١).

وقال القرطبي في قوله –تعالى: ﴿وضرب الله مثلًا﴾، هذا متصل بذكر المشركين من قريش، حيث دعا عليهم الرسول –صلى الله عليه وسلم، وقال: "**اللهم، اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف**"، فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام، ووجه إليهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– طعامًا، ففرق فيهم (٢).

ويرى بعضهم أن ذلك مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة، كما قيل: إنها المدينة، آمنت برسول الله –عليه الصلاة والسلام، ثم كفرت بأنعم الله

١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم.

٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن.

لقتل عثمان بن عفان، وما حدث بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من فتن[1].

ثالثًا: القرى المباركة:

قال الله -تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (سورة الأعراف: ٩٦)، وقال -تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ (سورة الأنبياء: ٧١). وقال -تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ (سورة هود: ٤٨). هذه أمثلة لثلاث قرى وأرض وأمم كانت عادلة، مباركة، وهي قرى بارك الله فيها لإيمان أهلها وتقواهم، ينزل الله عليهم بركات من السماء والأرض، فإن سبب نزول هذه البركة، وجعلها قرى مباركة إنما يرجع إلى أن أهلها آمنوا بربهم واتقوه؛ ففتح الله عليهم بركات من السماء والأرض، فأصبحوا يسكنون قرى مباركة.

قال القرطبي في تفسير قوله -تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾: قال الحسن: يعني بين اليمن والشام، والقرى التي بورك فيها هي: الشام، والأردن، وفلسطين، وقيل: كانت أربعة آلاف وسبعمائة قرية، بورك فيها بالشجر، والثمر، والماء، بورك فيها بالشجر، والثمر، والماء، ويحتمل أن يكون معنى باركنا فيها: بكثرة العدد [2].

يقول ابن كثير: قال الله -تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾: يعني: قرى الشام، أي: أنهم يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى

---

١) ابن جندل، معجم الأمكنة الواردة في القرآن الكريم، ص ٢٧٧.

٢) معجم الأمكنة الواردة ذكرها في القرآن، ص ٢٩٤ وما بعدها.

يقبلون في واحدة، ويبيتون في أخرى، ولهذا قال –تعالى:﴿وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ﴾. أي: جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه[١].

المطلب الثالث: القرى الموصوفة:

قال –تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨﴾ (سورة سبأ: ١٨).

ورد في القرآن الكريم ذكر لنوعين من القرى الموصوفة، هي: القرى الظاهرة، والقرى المحصنة، كأمثلة للقرى الآمنة، والمتواصلة بعضها من بعض.

والقرى الظاهرة هي التي جعلها الله متواصلة، حسب احتياج المسافرين فيها، وكانت على الطريق بين اليمن والشام [٢].

وقال بعض علماء التفسير: إنّ تلك القرى كانت على امتداد الطرق بين اليمن والشام في عهد حضارة سبأ، وكانت تلك القرى الظاهرة على مسافات متقاربة، بحيث (تقيّل) القافلة في قرية، وتبيت في القرية التي تليها، ومن ثم يجد المسافرون فيها الأمن والراحة[٣].

وفي تفسير القرطبي والشوكاني لقوله –تعالى: ﴿قرى ظاهرة﴾[٤]. أي: بمعنى متواصلة، ومتصلة على الطريق، بحيث أنه كان على كل ميل قرية بسوق، وهو سبب أمن الطريق[١].

---

١) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم.

٢) محمود مصطفى الشنقيطي، مبهمات الأماكن الواردة في القرآن، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم التفسير، رسالة دكتوراه، ١٩٨٢، (بتصرف). ونقلًا عن موقع إلكتروني، حيث تعذر الحصول على الرسالة التي نشرت في كتاب.

٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم.

٤) ظهر الشيء: بمعنى تبين وبرز، والظاهر من الأرض وغيرها بمعنى: المشرفة، والقرى الظاهرة يعرفها المسافرون، وهي قرى متواصلة متقاربة.

قال وهب بن منبه، وكذلك المبّرد عن القرى الظاهرة المذكورة في الآية :١٨ من سورة سبأ: هي قرى بصنعاء، وكذلك قال العوفي عن ابن عباس: عن معنى (قرى ظاهرة): أي: بينة واضحة للعيان، يعرفها المسافرون.

أما القرى غير الظاهرة فتسمى الكفور[٢]، وتكون في أعماق الريف، بعيدة عن الأمصار، ويحتاج إليها المسافر جهدًا كبيرًا ووقتًا طويلًا، فهي مكى القرى الظاهرة. وهذا النوع من القرى لا يتمتع المقيمون فيها بوفرة في المعلومات عن البلدان المجاورة، لبعدها الكبير عنهم، وغالبًا ما تتأثر تجارتها بذلك نتيجة صعوبة اتصالها بالآخرين، وصعوبة الوصول إليها.

تردد في القرآن الكريم ذكر لنوع آخر من القرى الموصوفة، هي القرى المحصنة في قوله –تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤﴾ (سورة الحشر: ١٤).

قال ابن كثير في تفسيره للقرى المحصنة: تعني: الحصون، أي: من شدة جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة، بل إما في حصون، وإما من وراء جدر محاصرين [٣].

وجاء في تفسير القرطبي للقرى المحصنة: أي: في قرى محصنة بالحيطان والدور، يظنون أنها تمنعهم منكم أيها المؤمنون[٤]، وفي تفسير الطبري: لا يقاتلكم

---

١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم؛ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.

٢) الكفور "مفردها (كفر)، وتعني: القرى النائية، البعيدة عن الأمصار، والكافر من الأرض: ما بعد عن الناس، ولا يكاد ينزل به أحد ولا يمر به"، ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ)، كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٤ ج، ج ٤، ص ٣٩.

٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم.

٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم.

هؤلاء اليهود بني النضير مجتمعين إلا في قرى محصنة بالحصون المنيعة، أو من خلف حيطان[١]، فتلك القرى هي قرى موصوفة بالقرى الحصينة، وأحيانًا يعرف علماء اللغة الحصون بالآطام، حيث ذكر ابن منظور في "لسان العرب" بأن الأطم: يعني: حصن مبني بحجارة، وقيل: هو كل بيت مربع مسطح[٢]، وفي القاموس المحيط، الأطم (بضمة) وبضمتين: هي القصر، وهي كل حصن مبني بحجارة، وكل بيت مسطح[٣]، وفي "كتاب العين" للفراهيدي، الأطم: حِصنُ بناه "أهل المدينة من الحجارة... وتأطمت الحيطان: إذا همت بالسقوط[٤].

قال –تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢﴾[٥].

هذه الآية تبين مدى شدة القرى المحصنة التي بناها بنو النضير، وقوتها، حتى حسبوا أن قراهم المحصنة هذه ستمنع وصول أيدي المؤمنين، وظنوا أيضًا أن تلك الحصون لن يخرج منها اليهود من شدة تحصنهم بها.

قال الزمخشري في تفسير قوله –تعالى: ﴿ما ظننتم أن يخرجوا:﴾ لشدة بأسهم ومنعتهم، ووثاقة حصونهم، وكثرة عددهم وعُدّتهم[٦].

وفي معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري تحت عنوان آطام المدينة، يقول ابن جندل عن تلك الحصون: هي حصون تبنى بالحجارة في

---

١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

٢) ابن منظور، لسان العرب.

٣) الفيروزآبادي، القاموس المحيط،

٤) الفراهيدي، كتاب العين، ١ / ٧٤.

٥) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج / ص.

٦) الزمخشري، الكشاف.

المدينة، ويبين دقة جمع المعلومات التي توصف بعض تلك الآطام، فيقول: "اعتمد في حديثة عن آطام المدينة، ومنازل قبائلها على ما ذكره المؤرخون، ابن شبة، وابن النجار وغيرهم، وقد حرص في حديثة على الجمع بين أقوال من سبقه، وتحري الراجح منها"(١).

المطلب الرابع: القرى الظالمة:

أولا: قرية عاد:

ورد في القرآن الكريم تعابير متعددة لبعض القرى الظالمة التي اشتهرت بالطغيان والتجبر والظلم، فقد ذُكر طغيان قوم نوح وقوم ثمود أكثر من مرة (الحاقة، الآية: ٥، الشمس، الآية: ١١)، وذكر طغيان فرعون في أربع آيات (طه، الآية:٢٤، ٤٣؛ النازعات، الآية: ١٧؛ الفجر، الآية: ١١).

قال –تعالى: ﴿* وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١﴾ (سورة الأحقاف: ٢١)، وقال –تعالى:﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ﴾ (سورة هود: ٦٠).

عاد هم قوم هود –عليه السلام(٢)، حيث أرسله الله إليهم يدعوهم لترك عبادة الأصنام، فلم يبالوا بما يقول، كانوا يستهزئون منه، ويسخرون، فلما جاء أمر الله بإهلاكهم نجّى الله هودًا –عليه السلام– والذين آمنوا معه برحمته، وأهلك الكافرين، أرسل عليهم ريحًا صرصرًا عاتية، سخرها عليهم سبع ليالي وثمانية أيام متواصلة،

---

١) سعيد بن عبد الله بن جنيدل، معجم الأمكنة الواردة ذكرها في صحيح البخاري، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٩٩٩، ص ٣١ وما بعدها.

٢) هو: هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح –عليه السلام، ويقال: إن هودًا هو عابري بن سالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح.... وكان من قبيلة يقال لهم عاد بن عوص بن سام بن نوح، وكانوا عربًا يسكنون الأحقاف، وهي جبال الرمل –وكانت باليمن بين عُمان وحضرموت، بأرض مطلة على البحر يقال لها: الشجر، واسم واديهم: مغيث، انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٧٩.

أضحى بها القوم في هذه القرية صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، كانت تلك الريح لا تترك من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، إنسانًا كان، أو حيوانًا، أو نباتًا، قال الله –تعالى– في وصف العذاب الذي حل بهم: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾، ولم يتبق منهم أحدًا، بل تتبعهم الريح حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال، وتخرجهم منها، وتهلكهم، وتدمر عليهم البيوت المحكمة والقصور المشيدة[1].

قال عبد الوهاب النجار: كانت منازل عاد بأرض الأحقاف، وهي تقع شمال حضرموت وشرقها، يسمى الأحقاف. وقال صالح بن علي الحامد: وأرض الأحقاف التي ذكرها الله –سبحانه وتعالى– في القرآن الكريم ناحية بقرب حضر موت، وقد كانت موطن عاد الأولى[2].

---

١) عبد الوهاب النجار، "قصص الأنبياء"، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، د.ت، ص٥١.

٢) أشار فضل عباس في كتابه "قصص القرآن الكريم" إلى اختلاف المفسرين في قوله –سبحانه: ﴿عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [النجم، الآية: ٥٠، ٥١]، فذهب بعضهم إلى أن قوله –سبحانه: "الأولى" صفة جاءت للفضل والتفرقة بين قبيلتين: إحداهما: عاد الأولى، والأخرى عاد الآخرة، وقد تبنى هذا الرأي ابن كثير، وأبو السعود في تفسيرها، ومن المحدثين الشيخ عبد الوهاب النجار في قصص الأنبياء، على حين يرى آخرون بأنها هي صفة بيان فحسب، وبهدف منها بيان قدم قبيلة عاد في جذور التاريخ، ومن هؤلاء الشيخ بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير، وأصحاب الرأي الأول اختلفوا في عاد الثانية، فبعضهم رأى أنها ثمود، وبعضهم رأى غير ذلك، ولكنه رجح أصحاب الرأي الثاني؛ حيث إن قبيلة عاد واحدة، ولكنها كانت الأولى لسبقها في التاريخ. انظر: عباس، قصص القرآن الكريم، هامش ص ٢٠٩ – ٢١٠؛ انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٥٣.

وفي سورة الفجر إشارة واضحة إلى قوة عاد، حيث قال –تعالى– عن هذه القوة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾ (سورة الفجر: ٦–٨).

ومما تجدر الإشارة إليه إلى أن ما ذهب إليه علماء التفسير بأن المقصود بقول: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧﴾، هي قبيلة عاد نفسها، وليست مدينة، كما هو شائع بين كثير من الناس، وسبب ذلك: أن لفظ إرم عطف بيان على لفظ (بعاد)، أو بدلًا منهم. وقال بعضهم: إرم لا ينصرف؛ للتعريف، والتأنيث؛ لأنه اسم قبيلة، ووصفها بذات العماد يعني: القوة، والبأس [١].

يقول مصطفى محمود عن قوم عاد: "إن قوم عاد يمثلون دورًا محوريًا في القرآن الكريم، وهم يمثلون رموز الوفرة، والغنى، والثراء، والعلوم، والمعارف، والإنشاءات العملاقة، والقوة المادية، والفقر الروحي، والعلو، والتسلّط، والسيادة على الآخرين، وكل هذا نجده في أمريكا اليوم. ويضيف قائلًا: لا شك أن أمريكا هي رمز العلمانية والمادية، ولا شك أن الأمريكان هم عظماء هذه الدنيا بالمعنى المادي الدنيوي، وأيضًا بمعنى التفوق والسبق في العلوم والفنون والمعارف، وأساليب القتال، وهم أصحاب ناطحات السحاب والأبراج الشواهق، وفي هذه الأبراج نجد النوادي الوجودية، ونوادي الشواذ، وقاعات القمار، وكل صنوف العبث، ومدمني المخدرات، هي إذن عاد الثانية بدون منافس"[٢].

ويقارن فضل عباس بين قوم عاد واستكبارهم في الأرض، واغترارهم بقوتهم في قوله –تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، وبين

١) ابن جنيدل، معجم الأمكنة الواردة في القرآن، ص ٣٦ – ٤٢.

٢) مصطفى محمود، "على حافة الزلازل"، مقالة نشرت بجريدة الأهرام، بتاريخ ٢٠٠١/١٠/٦.

غطرسة الدول القوية في أيامنا هذه، حيث تكون القوة من أهم أسباب الطغيان، وكذلك كانت عاد [١].

ثانيا: قوم ثمود:

قرية قوم ثمود هي مثال آخر لقرى ظالمة وردت في القرآن الكريم، اشتهرت بالطغيان والتجبر، وكانوا عربًا يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك، وقد مر به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو ذاهب إلى تبوك، وجاء قوم ثمود بعد قوم عاد، وكانوا على شاكلتهم يعبدون الأصنام، فبعث الله فيهم رجلًا منهم هو صالح، فدعاهم إلى عبادة الله لا شريك له، فآمنت به طائفة منهم، وكفرت أخرى، وهموا بقتله، وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم [٢].

قال –تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ (سورة الأعراف: ٧٣).

يقول فضل عباس في "قصص الأنبياء" بشأن هذه الآية التي وردت في سورة الأعراف إنها احتوت على عناصر جديدة انفردت بها السورة الكريمة، وهي: ذكر اسم صالح –عليه السلام، والدعوة إلى التوحيد بصراحة ووضوح، وتذكيرًا لهم بما جاءهم من ربهم من البينات، فهذه الناقة جيء بها معجزة لهم، وهي ناقة الله، فليتركوها تأكل من أرض الله، ولا ينبغي أن يمسوها بسوء؛ حتى لا يمسهم العذاب كذلك، ويذكرهم الله بما مَنّ عليهم، حيث جعلهم خلفاء من بعد عاد[٣].

---

١) فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص ٢١٩.

٢) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٩٤.

٣) فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص ٢٣٣ – ٢٣٤.

قال –تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ (سورة الأعراف: ٧٨)، وقال –تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ (سورة الحجر: ٨٠).

إن كلمة دارهم – الواردة في الآية الأولى تعني: ديار قوم صالح، وتعرف قديمًا بالحجر، وحاليًا يطلق عليها (مدائن صالح)، وتقع شمال المدينة المنورة، وتبعد عن المدينة المنورة بحوالي ٣٠٠كم.

وتشير الكتب والمصادر القديمة إلى أن قوم ثمود كانوا حضرًا، وكان الله قد أطال أعمارهم، حتى أن أحدهم ليبني البيت من اللبن، فينهدم وهو حي، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتًا[١]، والكتابات والرسومات الثمودية لم يجدها علماء الآثار فقط في مدينة ثمود باليمن، وإنما في أنحاء شبة الجزيرة العربية كافة"[٢].

وارتبطت (مدائن صالح) بقوم ثمود الذين عايشوا صالحًا –عليه السلام، وهي تعد من أقدم الآثار، وأشهرها، وأعظمها عبرة، وتقع بالقرب من مدينة تبوك في شمال المملكة العربية السعودية، وتشكل عدة كهوف ومقابر منحوتة في الجبال لأقوام حكموا شعوب هذه المنطقة، من آشوريين، وأنباط، ورومان، وعرب، وسميت في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– (الرجتة)، وقال المفسرون: أول ما نحت الجبال والصور والرخام ثمودُ، فبنوا المدائن ألفا وسبعمائة مدينة، كلها من الحجارة[٣].

ثالثا: قرى فرعون:

ورد في القرآن الكريم تعابير متعددة عن التعسف في استعمال السلطة، وأبرزها الطغيان، والتجبر، والاستكبار، والفساد، والطغيان، والطغيان أكثر التعابير

---

١) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٠٥.

٢) محمد بن عبد الله الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من أثار، مكة المكرمة، تحقيق رشدي الصالح، ط ٥، ١٩٨٨.

٣) ابن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، ص ٤٠٥.

ترددًا، فقد ذكرت عبارة "طغيانهم يعمهون" في خمس آيات (البقرة: ١٥؛ الأنعام: ١١٠؛ الأعراف: ١٨٦؛ يونس: ١١؛ المؤمنون: ٧٥)، وذكر طغيان فرعون في أربع آيات (طه: ٣٤، ٤٣، النازعات: ١٧، الفجر: ١١) [١].

قال -تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (سورة الكهف:٥٩).

لم يختلف المفسرون في القرى التي وردت في الآية المذكورة في أن المقصود هي التي اشتهرت بالطغيان والظلم والتجبر، أي: قرى عاد، وثمود، وأمثالهم.

قال القرطبي في تفسير قوله -تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾. أي: وتلك القرى التي قصصنا عليك نبأهم، نحو قرى عاد، وثمود، ومدين، وقوم لوط أهلكناهم لما ظلموا، وكفروا [٢].

طغيان فرعون وعلوه واستكباره في الأرض:

قال الله -تعالى- مخاطبًا سيّدنا موسى -عليه السلام: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (سورة النازعات: ١٧). وقال -تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة القصص: ٤٠).

وتبين لنا الآيات السابقة طغيان فرعون، الذي هو من أعتى الطغاة على الأرض، حيث استخف قومه فأطاعوه، فأصبح هو وجنوده من المتجبرين في عهد موسى -عليه السلام.

في سورة (الفجر) يبين الله طغيان فرعون، ومن هم على شاكلته من الأقوام والقرى الطاغية المتجبرة، مثل عاد وثمود، قال -تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾

---

١) العلي، أهل مكة وتطور المجتمعات، ص ٢٧.

٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم.

إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢﴾ (سورة الفجر: ٦-١٢).

يقول فضل عباس في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾: إن فيها دروسًا وعظات؛ إذ تبين الآية الكريمة أنّ العلو في الأرض يمقته الله -تبارك وتعالى؛ لأنه يؤدي إلى الفساد، كما تبين أن الناس جميعًا أبناء هذه الأرض، خلقوا منها، فيها يستقرون ويتمتعون إلى حين، وفيها يعودون، فليس أحد أولى من أحد بهذه الأرض، بل الناس فيها سواء، وإن كل الفوارق على اختلافها لا ينبغي أن تجعل لفئة امتيازات دون فئة أخرى. لقد كان يعيش في أرض مصر القبط والإسرائيليون، ولكن فرعون عمّق الفوارق بين هاتين الفئتين فعلًا وتكبر، وجعل أهل الأرض وسكانها شيعًا، كان لفئةٍ العلو، والأخرى الاستضعاف، تحيا فئة بمظاهر الترف، وأخرى تعيش على فتات العيش [1].

- **مصر هي قرى فرعون ومدنه:**

وردت في القرآن الكريم كلمة (مصر) في العديد من الآيات، منها قوله -- تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾ (سورة البقرة: ٦١).

وقد جاء ذكر مصر والإشارة إليها في مواضيع كثيرة من القرآن الكريم، كما في قوله -تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّـَٔا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا﴾ (سورة يونس: ٨٧)، ومصر في هذه الآية بحسب المفسرين على قولين: الأول:

١) عباس، قصص القرآن الكريم، ص ٣٣٨ – ٣٨٩.

الإسكندرية، والإسكندرية من أرض مصر. والثاني: بأنها مصر، ومصر هي ما بين البحر إلى أسوان [١].

وفي قوله –تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾. قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: ﴿المدينة﴾: مدينة منف من مصر، وقال ياقوت: منف بالفتح، ثم السكون وفاء: اسم مدينة فرعون بمصر[٢]، وفي قوله –تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾، والقرية في هذه الآية هي مصر وقيل: هي منف، وقيل أيضًا: هي إحدى قرى مصر.

وفي قوله –تعالى:﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۖ﴾ اختلف علماء التفسير في المقصود بمصر في هذه الآية، هل هي مصر البلد المعروف، أم أنه أي مصر من الأمصار[٣].

وفي قوله –تعالى:﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (سورة القصص: ١٥). وكذلك قوله –تعالى:﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (سورة القصص: ١٨). وهذه المدينة التي ورد ذكرها في الآيتين هي (عين شمس) عاصمة الفراعنة في عهد موسى –عليه السلام، وهذا ما ذكره ياقوت في معجم البلدان[٤]، وذهب القزويني في كتابة "آثار البلاد وأخبار العباد" إلى أنّ عاصمة فرعون في عهد موسى هي (منف)، وهو الأرجح [٥].

---

١) ابن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، ص ٣٧١ وما بعدها.

٢) ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٢١٣؛ ابن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، ص ٣٤٣.

٣) ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٢١٣؛ ابن جنيدل معجم الأمكنة الواردة ذكرها غي القرآن، ص ٣٧٣.

٤) ياقوت، معجم البلدان، ٥ / ١٣٧ وما بعدها.

٥) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٧٤.

قيل: إنّ فرعون كان له ألف مدينة، واثنا عشر ألف قرية، ولعلّ أقدم المدن التي نشأت في مواطن حضارات العالم القديم كانت في تلك التي نشأت في مصر. قال –تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾.

نعم اقتصر التدمير على السكان من البشر، أما المساكن فتبقى ﴿مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

المطلب الخامس: قرى عنيدة ومخادعة:

أولًا: قرى عنيدة:

١– قرية قوم نوح:

قال –تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ (سورة هود: ٢٥).

وقال –تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ (سورة نوح: ١).

هذا هو المثال الأول من أمثلة القرى الظالمة العنيدة، فهي قرية أرسل الله إليها رسولًا من أولى العزم من الرسل، مكث فيهم فترة طويلة للغاية، لم يمكثها رسول من قبله في قومه على الأرض، على مرّ التاريخ، لقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا.

لقد أرسل الله نوحًا –عليه السلام– إلى قومه لينذرهم، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا؛ لقوله –تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾[1]، ظل يدعو قومه وينذرهم من عقاب الله، فكان يدعو قومه ليلًا ونهارًا، فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارًا، لقد دعاهم –

١) ابن كثير، البداية والنهاية، ص ٧٥؛ عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص١١٢٠.

عليه السلام- في السر والعلن، وفى حالات السرور والشجن، لكنّهم جعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصروا إصرارًا على كفرهم، واستكبروا استكبارًا؛ فقرية نوح -عليه السلام- قرية ظالمة عنيدة، لم تكفهم طول مدة دعوة رسولهم فيهم، ولم تفلح معهم كل أساليب الدعوة التي كان بها يدعوهم.

ويبيّن القرآن الكريم مشهدًا من مشاهد السخرية التي تعرض لها نوح -عليه السلام- من قومه، فقد أمره الله بصنع الفلك التي سيحمل عليها المؤمنين، وكان كلّما مر عليه ملأ من قومه وهو يصنع هذا الفلك سخروا منه، قال -تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (سورة هود:٣٨)، وكان نوح -عليه السلام- يتحمل كل الأذى، والتكذيب، فهو يعلم تلك النوعية من القرى المعاندة.

ولا بد أن نشير إلى المكان الذي استوت عليه سفينة نوح -عليه السلام، بعد الطوفان المروع، لقد استوت على جبل يسمى (الجُوديّ) [١].

ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره للآية: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ (سورة هود: ٤٤)، يقول: إن أوائل هذه الأمة الإسلامية شاهدوا بقايا سفينة نوح على الجوديّ.

٢-قرية قوم ياسين:

وهذا مثال آخر على القرى العنيدة، فقرية قوم ياسين هي القرية التي أرسل الله إليها رسولين، فلم يفلحا في دعوتهما مع قومهما، فعززهم الله برسول ثالث، فهي قرية من القرى الظالمة العنيدة التي لا يفلح معها رسول واحد. قال -تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (سورة يس: ١٣-١٤).

---

١) ياقوت، معجم البلدان، ٢ / ١٧٩.

هي قرية يقال لها: (أنطاكية) في قول جميع المفسرين، وهي كما جاء في دائرة المعارف الإسلامية، بلدة كبيرة ذات أعين، وسور عظيم داخله خمسة جبال وقلعة، ويمر بظهرها نهر العاصي، كما أن بها قبر حبيب النجار.

قال ابن حوقل في كتابه (صورة الأرض): أنطاكية أنزه بلاد الشام بعد دمشق، عليها سور من صخر يحيط بها، وبجبل مشرف عليها، وتجري مياههم في دورهم وسككهم، ولها مسجد جامعهم، ولها ضياع، وقرى، ونواح خصبة جدًا[1].

وقال في العزيزي: ومساحة دور السور اثنا عشر ميلًا، ويبدو أن القوم الذين كانوا يسكنون القرية، هم من أشد الناس كفرًا وعنادًا، وقسوة ولؤمًا، حيث بعث الله إليهم ثلاثة من الرسل، فكذبوهم جميعًا. حيث اشتهر أهل هذه القرية بتكذيب الرسل، وإصرارهم على الكفر[2].

ثانيا: قرى مخادِعة:

١-قرية شعيب -عليه السلام- (مدين- الأيكة):

ورد ذكر مدين والإشارة إليها في العديد من الآيات. قال -تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (سورة التوبة: ٧٠)، وقال -تعالى: ﴿*وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم

١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٦٢. ابن الأثير، قصص الأنبياء، ص٢٣٣.

٢) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٢٣٣.

بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ (سورة هود: ٨٤)، وفي غير موضع [١].

و(مدين) هي قرية من قرى الكفار، كان أهلها يُرَوِّعون المارة ويقطعون السبيل، ويبخسون الناس أشياءهم، ويطففون الكيل والميزان، ولا يعطون الناس حقوقهم، ويسعون في الأرض مفسدين، كانوا يعدون أن بخسهم للأشياء نوعٌ من أنواع المهارة في البيع والشراء، ودهاء في الأخذ والعطاء، فأرسل الله لهم شعيبًا – عليه السلام– رسولًا منهم؛ لينهاهم عما كانوا يفعلون.

قال –تعالى– على لسان شعيب –عليه السلام، وهو ينهى قومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (سورة هود: ٨٥).

لكنّ قومه سخروا منه، وتهكموا عليه، وهددوه إما بإخراجه من القرية، أو عودته في ملتهم التي هم عليها: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ (سورة هود: ٨٧). ولما جاء أمر الله نجّى الله شعيبًا والذين آمنوا معه برحمة منه، وأخذت الذين كذبوا الصيحة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

والأيكة هي أيضًا من بلاد مدين قوم شعيب، قال –تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ (سورة الحجر: ٧٨–٧٩).

قال الإمام ابن كثير: إنّ أصحاب الأيكة هم (أهل مدين)، وأكثر المفسرين على خلاف ما ذهب إليه ابن كثير، وفي مقدمتهم إمام أهل التفسير ابن جرير الطبري، والإمام القرطبي، وغيرهما من أئمة التفسير، فهؤلاء يرون أن شعيبًا بعثه

---

١) سورة طه، الآية: ٤١، وسورة الحج، الآية: ٤٤، وسورة القصص، الآيتان: ٢٢ – ٢٣، وسورة القصص، الآية: ٤٥، وسورة العنكبوت، الآية: ٣٦.

الله إلى أمتين، إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة القريبين منهم، حيث تقع الأيكة شمال مدين.

٢-قرية أصحاب السبت:

قال -تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ (سورة الأعراف: ١٦٣).

القرية التي وردت في هذه الآية الكريمة هي المثال الثاني لبعض القرى الظالمة، التي وردت في القرآن الكريم، لقرى اشتهرت بالخداع، وهي قرية (أصحاب السبت)، حيث اشتهرت بالتحايل على الله في عدم تنفيذ ما أمرهم به الله -سبحانه وتعالى، يخادعون الله وهو خادعهم، حين أمرهم بعدم صيد الحيتان (الأسماك) يوم السبت، لقد فتنهم الله، وأظهر لهم تلك الأسماك في يوم السبت، بينما في باقي أيام الأسبوع لا تأتيهم، فلم يمتثلوا لأمر الله، وتحايلوا على الله، يريدون خداعه، فهم مخادعون، كانوا يحجزونها يوم السبت، ويصطادونها يوم الأحد.

أمر الله -سبحانه وتعالى- محمدا -عليه الصلاة والسلام- أن يسأل اليهود الذين كذبوه عن خبر أسلافهم وإخوانهم من أهل هذه القرية؛ ليعلموا أن محمدًا هو رسول من عند الله، يأتيه الوحي من الله، وما ينطق عن الهوى، لقد كان أسلافهم يعصون أمر ربهم، ولا يتناهون عما نهاهم الله عنه.

وفى تفسير ابن كثير: أن هذا السياق هو بسط لقوله -تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ (سورة البقرة: ٦٥)، وأن قوله -تعالى- لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾ أي: واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله، فجاءتهم نقمته على صنيعهم، وعلى اعتدائهم، واحتيالهم، وخداعهم في المخالفة لأمر الله، وحذّر -يا

محمد- هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم؛ لئلا يحلّ بهم ما حلّ بإخوانهم وسلفهم.

قيل: إنّ تلك القرية هي (أيلة)، وهى بين مدين والطور، وهي على شاطئ بحر القلزم[١]. قال ذلك محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله -تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، وقتادة، والسدي. وقال عبد الله بن كثير: سمعنا أنها أيلة، وقيل: هي مدين، وهي رواية عن ابن عباس. وقال ابن زيد: هي قرية يقال لها: (معتا) بين مدين وعينونا.

وقوله: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾. أي: يعتدون فيه، ويخالفون أمر الله فيه: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾. قال الضحاك عن ابن عباس: أي: ظاهرة على الماء. وقال العوفي عن ابن عباس: ظاهرة من كل مكان.

المطلب السادس: قرية قوم لوط (القرية التي كانت تعمل الخبائث):

ذكر اسم لوط -عليه السلام- في القرآن الكريم سبعًا وعشرين مرة، وجاء مع إبراهيم -عليه السلام- وآمن به، وبعد عودتهما من مصر افترق عنه عن تراض، فنزل في أقصى جنوب البحر الميّت (بحيرة قوم لوط)، حيث سدوم وعامورة اللتان دمرتا بزلزال جعل عاليها سافلها[٢]، وتضمنت قصة قوم لوط فاحشة كبيرة، حيث كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء[٣].

كان أهل هذه القرية يأتون في ناديهم المنكر، ويقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، هذه القرية سُميت في القرآن الكريم باسم نبيهم لوط -عليه السلام، فقد اتبعوا شهواتهم المعكوسة؛ لأن قومها كانت لهم نفسية معكوسة، فقد عملوا الخبائث

---

١) ياقوت الحموي، ١/ ٢٩١.

٢) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص١٥٨؛ شوقي خليل، أطلس القرآن، بيروت، دار الفكر المعاصرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص٥٧.

٣) سورة النمل، الآية: ٥٥.

وأسرفوا في تجاوز حدود اللياقة والآداب، وغالوا في قضاء الشهوة، حتى تعدوا المعتاد إلى غير المعتاد.

وقد أشار القرآن إلى تلك النوعية من القرى، التي ترفض الذين يتطهرون فيها من فواحشهم وجرائمهم، فقد تكررت العديد من الآيات التي تبين رفض قوم لوط، لأوامر نبيهم لوط –عليه السلام– بسبب أنه يأمرهم بالتطهر من تلك الفاحشة الكبرى[1].

لقد سمّى القرآن الكريم قرية قوم لوط أيضا بقرية (المؤتفكات). قال –تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (التوبة: الآية ٧٠). "والمؤتفكات" هم قوم لوط. وفى قوله –تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ (سورة النجم:٥٣–٥٤)، أي: الأمة المؤتفكة. وفى تفسير القرطبي: يراد بالمؤتفكات قوم لوط؛ لأنّ أرضهم ائتفكت بهم، أي: انقلبت. قاله قتادة، وقيل: المؤتفكات كل من أهلك، وقال –تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ (سورة الحاقة:٩–١٠).

لم يبق من هذه القرية سوى آثارها، قال العلماء: إن مكان هذه القرية الهالكة، بحيرة غريبة، ماؤها ملح أجاج، وكثافة الماء أعظم من كثافة مياه البحر الملحة، وفى هذه البحيرة صخور معدنية ذائبة، توحي بأن هذه الحجارة هي التي أمطرها الله على قوم لوط، والتي كانت تهبط عليهم كالشهب المشتعلة.

---

١) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص١٥٨–١٦١، انظر: سورة الأعراف، الآية: ٨٢.

الخاتمة

النتائج:

– ذكرت القرية والقرى في القرآن الكريم (٥٦) مرة، وذكرت المدينة والمدائن في القرآن الكريم ١٧ مرة، منها أربع للمدينة المنورة، وثمان في مصر، ومن الملفت للنظر أن القرية قد أطلق عليها وصف المدينة في مرتين، مرة في قصة لوط حيث وصفت بالقرية في قوله –تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾(الأنبياء: ٧٤).

– وصفت القرية بالمدينة في قوله –تعالى: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾ سورة الحجر: ٦٧ – ٦٨. ومرة في قصة موسى مع العبد الصالح، حيث وصف المكان بالقرية في قوله –تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ﴾ (الكهف: ٧٧).

– وصفت "القرية" مرة أخرى بالمدينة في قوله –تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾(الكهف: ٨٢). فهل يعني ذلك أن القرية قد يطلق عليها مدينة أيضًا؟ القرية إذ اتسعت أصبحت مدينة، والعرب قديما كانت تسمي كل مدينة قرية.

في جميع الآيات التي ذكرت القرى ما عدا آية واحدة: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾(يوسف: ٨٢). نجد دائمًا أنها مترافقة مع ألفاظ مثل: (العذاب، الرجز، خاوية على عروشها، الظلم، المجرمون، الهلاك، الفساد، الكفر، البخل، الخبث، السوء، البطر، الترف، التكذيب، العتو، الغفلة)، وذلك أن أهلها رفضوا دعوة الرسل، وجادلوهم بالباطل، فأنزل الله –تعالى– بهم العذاب.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. إسماعيل بن كثير الدمشقي (أبي الفداء)، **قصص الأنبياء**، بيروت، المكتبة العصرية، ط ٤، ٢٠٠٠م.

٢. جمال الدين بن منظور (أبو الفضل)، **لسان العرب**، بيروت، طبعة دار صادر، (د.ت).

٣. الخليل بن أحمد (الفراهيدي)، (ت ١٧٠ هـ)، **كتاب العين**، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤. زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت، دار صادر، د.ت.

٥. سعيد بن عبد الله بن جنيدل، **معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم**، ط١، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦. صالح أحمد العلي، **أهل مكة وتطور المجتمعات ودلالات مفردات القرآن عليها**، بحث منشور في مجلة اللغة العربية الأردني، ع ٥٤، ٢٠٠٨م.

٧. عبد القدوس الأنصاري، **آثار المدينة المنورة**، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط ٣، ١٩٧٣.

٨. عبد الوهاب النجار، "**قصص الأنبياء**"، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، د.ت.

٩. محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٠. محمد بن عبد الله الأزرقي، **أخبار مكة وما جاء فيها من آثار**، مكة المكرمة، تحقيق رشدي الصالح، ط ٥، ١٩٨٨.

١١. محمد بن محمد الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، مطابع هيد الأبرع، ط ٢، ١٩٨٤.

١٢. محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، المكتبة الإسلامية، اسطنبول (تركيا)، ١٩٨٢م.

١٣. محمود بن عمر الزمخشري (أبي القاسم)، (ت٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، القاهرة، المكتبة الوقفية، ٢٠١٢م.

١٤. محمود مصطفى الشنقيطي، **مبهمات الأماكن الواردة في القرآن**، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم التفسير، رسالة دكتوراه، ١٩٨٢، نقلًا عن موقع إلكتروني.

١٥. مصطفى محمود، "**على حافة الزلازل**"، مقالة نشرت بجريدة الأهرام، بتاريخ ٢٠٠١/١٠/٦.

١٦. هارون يحيى، **الأمم البائدة**، ترجمة: ميسون نهلوي، مراجعة: أورخان محمد علي، تركيا، مؤسسة الرسالة، د.ت.

١٧. الحسين بن محمد، أبي القاسم، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، بيروت، دار المعرفة: تحقيق وضبط محمد رشيد كيلاني، د.ت.

١٨. سعيد بن عبد الله ابن جنيدل، **معجم الأمكنة الواردة ذكرها في صحيح البخاري**، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٩٩٩.

١٩. سعيد بن عبد الله بن جنيدل، **معجم الأمكنة ذكرها في القرآن الكريم**، الرياض، ط ١، ٢٠٠٣م.

٢٠. شهاب الدين أبي عبد الله (ياقوت الحموي)، **معجم البلدان**، دار صادر، ٥ج، ١٩٧٧م.

٢١. شوقي خليل، **أطلس القرآن**، بيروت، دار الفكر المعاصرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢٢. علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، ١٩٨٧م.

٢٣. عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق وضبط: حسن الجبالي، الرياض، بيت الأفكار الدولية ،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٤. عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، اعتنى به: حنان عبد المنان، بيروت، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٤م.

٢٥. فضل حسن عباس، **قصص القرآن الكريم**، عمان، دار الفرقان، ط ١، ٢٠٠٠م.

٢٦. مجد الدين محمد بن يعقوب (فيروز آبادي)، (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**. بيروت دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢٧. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.

٢٨. محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير "التحرير والتنوير"**، بيروت، مؤسسة التاريخ العربيّ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢٩. محمد بن أبي بكر عبد القادر(الرازي)، **مختار الصحاح**، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٦.

٣٠. محمد بن شهاب الدين القرطبي (ت ٧٩١ هـ)، **تفسير أحكام القرآن الكريم**، تحقيق محمد أبو زهرة، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٣م.

٣١. محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.